فسُمي حاماً فلا يُنتفع له بوبر ولا يُنحر ولا يُركب له ظهر، فإذا مات كانوا فيه سواء، أم هو فحل الإبل ككُلّ[١].

ذلك، ومهما اختُلِف في تفسير هذه الأربع لم يُختلف في أن أي اختلاق لِحلٍّ أو حرمة في الأنعام أم سواها، مما لم يجعل الله، إنه هَذِر هَدِر لا موقع له من القبول[٢].

والقول إن تحرير الأنعام من الذبح أو النحر ليس إلَّا كتحرير الإماء والعبيد فكيف جاز هنا دونما هناك؟ إنه غَول وزور من القول، قياساً أمام النص، فالله يقول: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ﴾ وأنت تقول أنا أجعل قياساً على سائر التحرير.

ذلك، وكلّ تقييد أو تحرير في أي قال أو حال أو فعال، إنما تُقبل بدليل من كتاب أو سنّة حيث الشارع - فقط - هو الله دون سواه، مهما كان رسولاً فضلاً عن سواه!.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الدر المنثور ٣: ٣٣٧ - أخرج أحمد وعبد بن حميد والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي الأحوص عن أبيه قال: أتيت رسول الله ﷺ في خلقان من الثياب فقال لي: هل لك من مال؟ قلت: نعم، قال: من أي المال؟ قلت: من كلّ المال، من الإبل والغنم والخيل والرقيق، قال: فإذا آتاك الله مالاً فليُر عليك ثم قال: تنتج إبلك رافعة آذانها؟ قلت: نعم وهل تنتج الإبل إلّا كذلك؟ قال: فلعلك تأخذ موسى فتقطع آذان طائفة منها وتقول: هذه بحر وتشق آذان طائفة منها وتقول هذه الصرم؟ قلت: نعم، قال: فلا تفعل إن كلّ ما آتاك الله لك حلّ ثم قال: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾، قال أبو الأحوص: أما البحيرة فهي التي يجدعون آذانها فلا تنتفع امرأته ولا بناته ولا أحد من أهل بيته بصوفها ولا أوبارها ولا أشعارها ولا ألبانها فإذا ماتت اشتركوا فيها، وأما السائبة فهي التي يسيبون لآلهتهم وأما الوصيلة فالشاة تلد ستة أبطن وتلد السابع جدياً وعناقاً فيقولون قد وصلت فلا يذبحونها ولا تضرب ولا تمنع مهما وردت على حوض وإذا ماتت كانوا فيها سواء، والحام من الإبل إذا أدرك له عشرة من صلبه كلها تضرب حمى ظهره فسمي الحام فلا ينتفع له بوبر ولا ينحر ولا يركب له ظهر فإذا مات كانوا فيه سواء.

ومهما اختلفت الروايات في معاني هذه الأربع، وأن تحريرها كان لنذر أو أمر سواه أم للأصنام، فالأصل المعلوم هنا حرمة كلّ تحرير وسواه ما لم يأذن به الله.

هذا، وليست الجاهلية لفترة غابرة من الزمان، بل وقد نلمسها الآن بمختلف صورها كأبشع ما كان، فهي حالة متكررة في كلِّ زمان ومكان لم تتمكن فيهما شرعة الله كأصل يحلّق على كافة الحركات والسكنات من أقوال وأحوال وأعمال.

وقد نجد جاهليات بين المسلمين تُشبه سائر الجاهليات مهما اختلفت الأسماء، حيث الأسماء الخاوية ليست لتقرر الحقائق كما الحقائق لا تتبدل بتبدل الأسماء.

فحينما ينفك رباط القلب بالإله الواحد على ضوء شرعته، ينفك عنه كثيراً أو يسيراً، نجد فكاكاً عارماً عن الحقائق بنفس القدر.

أفليس المسلم الذي يُحرِّر حيواناً للأولياء والقديسين، أو ينذر لهم عملاً، أليس يُماثل الوثني الذي يُحرّر أو ينذر لوثنه؟ ولا نذر أو تحرير إلّا لله فيما أذن به الله!.

وهكذا يتيه الجاهل في منحنيات ودروب لا عداد لها مهما كان موحداً لله في مبدئه.

أجل ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ . . . وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله وبوحي الله ﴿يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ﴾ ومهما كان قليل منهم يعقلون فيفترون عن عقلية شيطانية تزييفاً لشرعة الله وهم حَمَلة مشاعل الضلالة، ولكن ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ حيث يفترون ما يفترون تقليدياً دون أية عقلية أو علم، ومن عدم عقلهم:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٠٤﴾:

ذلك التقليد الأحمق الأعمى في تلك الأكثرية غير العاقلة شرعة جاهلة قاحلة لهم يتبعون فيها هم وآباءهم شيطنات الأقلية المضلّلة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أولاء الشارعين ما لم يأذن به الله ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في كتابه ﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ الحاكم بين الناس بما أراه الله وهو سنته النازلة بوحي ثانٍ بعد القرآن ﴿قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ لأنهم آباؤنا الأقدمون، فللقِدَم قداسة تُؤتسى، ولكن ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ كما هم لا يعلمون ولا يهتدون، فذلك تقليد من جاهلين أقدمين، وليست القِدمة حجة لصدق الجهالة السابقة، إنما هي البرهان المبين وليس إلّا لله ولرسل الله.

فحتى إذا كان آباؤهم يعلمون ويهتدون فلا يصح في ميزان العقل اتّباع غير الله ورسوله حيث الخطأ لزام غير المعصوم.

وهذه الآية هي من عساكر الآيات التي تفرض الرجوع إلى كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، دون أي سناد إلى غيرهما مهما كان سناداً عليماً عيلماً إذ لا أعلم من الله ولا أصدق منه حديثاً.

ذلك، فالتقليد ذميم ليس إلَّا من ذميم غشيم، اللهم إلَّا في ضرورة مفروضة كأن يقلّد الجاهل عالماً يعلم علمه وتقواه، ولكنه أيضاً محظور إذا كان هناك أعلم منه أو أتقى، فضلاً عن الله ورسوله الحامل عنه حكمه.

فلا يبرّر تقليد الجاهل جاهلاً مثله أي عقل أو أدنى شعور، ولا تقليد عالم غير تقي أو تقي غير عالم وهناك عالم تقي، ولا تقليده على علمه وتقواه وهناك من هو أعلم منه أو أتقى، فأنحس دركات التقليد هو تقليد الأعمى أعمى مثله وكما هو سنة جاهلية في تقليد الآباء القدامى لا لشيء إلّا لِقدمتهم على جهلهم كما هم جاهلون، ثم وهناك بين الآباء القدامى

عالمون كالأنبياء وسائر الأولياء! هم ليسوا ليتبعوهم حيث يخالفون أهواءهم، فإنما يتبعون نظراءهم من المجاهيل.

وهنا ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ ضربة قاسية قاضية على هكذا تقليد حيث المقلَّد - كما المقلِّد - لا يعلم شيئاً فيه يقتدى، ولا يهتدي إلى علم حتى يعلم فيقتدى.

فقد يُقلِّد الجاهل جاهلاً مثله بفارق أن المقلَّد يهتدي إلى علم فيقلِّد فيه، ولكن الذي سُدّت عنه منافذ الهدى كيف يقتدي ويحتذي فيما لا يهتدي ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1]!.

وهنا الواو في ﴿أَوَلَوْ﴾ عطف على محذوف معروف هو أدنى منه محظوراً كـ: أإذا كان آباؤهم يعلمون أنهم ضالون تقلدونهم، أم إذا كانوا علماء يخالفون وحي الله تتبعونهم؟ ﴿أَوَلَوْ كَانَ...﴾ وهو أنحس تقليد أن الآباء لا يعلمون شيئاً من هدىً ولا ضلال بل هم كما هم أولاء جاهلون، حلقات جاهلة تشابه بعضها البعض في الجاهلية الجهلاء.

إذاً فذلك تقرير لواقع تقليدهم الأنحس الأركس، دون أن يبرر تقليداً يضاد وحي الله مهما كان المقلّد عالماً عيلماً.

إذاً فكافة التقاليد عمياء هباء خواء إلّا ما يحصل فيه على هدىً ليست فوقها هدىً، وهي في جو وحي القرآن والسنة منحصر فيهما منحسر عما سواهما مهما كان فيه وَفر من العلم والهدى فإن وحي الله أهدى وأنقى سبيلاً.

ولقد فصلنا القول حول الاجتهاد الصالح وصالح التقليد بمناسبات في

(١) سورة يونس، الآية: ٣٥.

طيات آيات كالزمر والنجم وما أشبه فلا نعيد ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1].

«فيا عجباً وما لي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها، لا يقتصون أثر نبي، ولا يقتدون بعمل وصي، ولا يؤمنون بغيب، ولا يعفُّون عن عيب، يعملون في الشبهات، ويسيرون في الشهوات، المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا، مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم، وتعويلهم في المهمات على آرائهم، كأن كلّ امرئٍ منهم إمام نفسه، قد أخذ منها فيما يرى بعرى ثقات وأسباب محكمات» (الخطبة ٨٦ / ١٥٧).

وحين يصل أمر التقليد الأحمق والضلال الأعمق إلى ذلك العمق من الحمق فلا تفيد دلالة ولا هدى ف :.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾:

ترى هكذا يؤمر الداعية الرسالية والرساليون المؤمنون به؟ وهي ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾[2]؟ لا يُسمح للداعية ترك الدعوة مهما كان المدعوون صَلتين هكذا وصلبين! وقد سجن ذا النون إذ ذهب مغاضباً تاركاً للدعوة الرسالية وهم مصرون على الضلال!.

فعلى الداعية مواصلة الدعوة ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ ولا سيما رسل الله، فمهما كان ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[3] ولكن ليس سواء عليك، فإن في استمرار الدعوة الرسالية قطع لأعذار هؤلاء الذين قد

(١) سورة النحل، الآية: ٩.
(٢) سورة النازعات، الآية: ٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٦.

يعتذرون بانقطاع الدعوة، وفسحٌ لمجال الهدى للذين قد تؤثر في هداهم تواتر الدعوة!.

هنا يخاطَب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لا الرسول، فإن رسالته غير رسالتهم إذ هي أعلى وأنبل، ثم ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ فرض أصلي لا حِوَل عنه على أية حال، ثم إذا أثرت دعوتكم فيمن سواكم فواقع لفرض آخر، وإذا لم تؤثر فواقع لمسؤولية أخرى فـ ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ بعدئذ ﴿إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ إلى هدي أنفسكم كواقع وإلى هدي من سواكم كبلاغ حين لا يهتدون.

فلا تعني الآية - إذاً - سلب المسؤولية الدعائية المثبتة على عواتق المؤمنين، الثابتة بتواتر الآيات والروايات التي تحمل فرض الدعوة والدعاية والتوجيه والأمر والنهي، وإنما تعني - فيما تعني - أن واقع الضرر اللَّازب هو ألَّا تقوا أنفسكم، وأما وقاية الآخرين كواقع فليست هي من مسؤوليات الداعية حتى الرسول فـ ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[1] وإنما المسؤولية الثانية هي دعوة الآخرين وهي من ضمن ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ حيث الدعوة هي من الواجبات على المؤمنين بشروطها.

إذاً فالمحور الأصيل الذي ليس عنه بديل ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ ثم إذا حققتم حق الهدى في أنفسكم ومن ثم دعوتم الآخرين فلم تؤثر فيهم، إذاً ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾.

ذلك، وحتى إذا اهتديتم في أنفسكم وتركتم الهداية للآخرين فأيضاً ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ كثيراً ﴿إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ حيث الأصل هو ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ ومن ثم الوصل أن تهدوا الضالين كما تستطيعون، فهذا الاحتمال يحتمل سلب الضرر نسبياً.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٥٦.

ومن الخطِر الخطِر جداً التمسك بمثل هذه الآية لترك المسؤولية الدعائية وهي نازلة في الظروف التي لا تنفع الدعوة - أمّاهيه - وهكذا يجيب الرسول ﷺ من سأله عنها بقوله: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شُحاً مُطاعاً وهُدى متبعاً ودنياً مؤثَرة وإعجاب كلِّ ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العوام إن من وراءكم أيام الصبر، الصابر فيهن مثل القابض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم»[(١)] والانعزال هنا ليس إلَّا للحفاظ على الأهم، تركاً للمهم الذي لا يؤثر أم ويضر بالأهم.

ذلك، ثم خطاب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يحوِّل ﴿مَن ضَلَّ﴾ إلى غيرهم، فلا صلة لهذه الآية - إذاً - بترك مسؤولية الأمر والنهي فيما بين المؤمنين أنفسهم، الثابتة بضرورة الشرعة الربانية ككُلّ، وعلى حدِّ قول الرسول ﷺ: «أين ذهبتم إنما هي لا يضركم من ضلّ من الكفار إذا اهتديتم»[(٢)]: ضراً منهم إليكم في إضلال بكلِّ حقوله، ما حققتم مسؤولية ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾.

فالمفروض على الذين آمنوا ككُلّ فرضاً على أعيانهم ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾

(١) الدر المنثور ١: ٣٣٩، أخرج الترمذي وصححه وابن ماجه وابن جرير والبغوي في معجمه وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن أبي أمية الشعباني قال أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قال وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ...﴾ [المائدة: ١٠٥] قال: والله سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله ﷺ قال: بل ائتمروا..

(٢) المصدر أخرج أحمد وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن أبي عامر الأشعري أنه كان فيهم شيء فاحتبس على رسول الله ﷺ ثم أتاه فقال: ما حبسك؟ قال: يا رسول الله ﷺ قرأت هذه الآية قال فقال له النبي ﷺ: أين ذهبتم، وفيه أخرج ابن مردويه عن محمد بن عبد الله التيمي عن أبي بكر الصديق سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما ترك قوم الجهاد في =

ثم لا تفرض الدعوة والأمر والنهي إلَّا فرض كفاية على أمة منهم فيهم الكفاية عَدَداً وعُدداً وهم العاملون بالمعروف الذي به يأمرون والتاركون المنكر الذي عنه ينهون، على شروط مسرودة في الكتاب والسنة.

فلا تحمل هذه الآية - إذاً - إلَّا فرض الأعيان لقبيل الإيمان بينهم أنفسهم، ثم ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ أي لا يضركم إلَّا ضلالكم، وأما ضلال غيركم فليس ليضركم، اللهم إلَّا إذا تركتم واجب الدعوة إلى الهدى بشروطها، فهناك أيضاً لا يضركم ضلالهم أنفسهم، بل المضر هو ترك واجب الدعوة التي هي أيضاً داخلة في نطاق ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ حيث تفرض واجبات الإيمان ككُلّ، شخصياً وجماعياً، ومن الثاني واجب الدعوة الكفائية.

ذلك، فـ ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ كتأويل أوَّل تعني بالنسبة للضالين غير المؤمنين إذ لا تؤثر فيهم الدعوة، وهي كتأويل ثانٍ بين المؤمنين أنفسهم تعني ظروفاً خاصة لا يجب أو لا يسمح فيها الأمر والنهي بين المؤمنين أنفسهم حيث لا يُجدي نفعاً أو يستجر ضراً هو أضرُّ من ضلالهم[1] فـ ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ في خطاب الإيمان تجمع مجامع شروط الإيمان ومنها

= سبيل الله إلّا ضربهم الله بذلٍّ ولا أقرّ قوم المنكر بين أظهرهم إلّا عمهم الله بعقاب ما بينكم وبين أن يعمكم الله بعقاب من عنده إلّا أن تأولوا هذه الآية على غير أمر بمعروف ولا نهي عن منكر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ . . .﴾ [المَائدة: ١٠٥] وفيه أخرج ابن مردويه عن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم قال: خطب أبو بكر الناس فكان في خطبته قال رسول الله ﷺ: يا أيها الناس لا تتكلموا على هذه الآية ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ . . .﴾ [المَائدة: ١٠٥] إن الذاعر ليكون في الحي فلا يمنعوه فيعمهم الله بعقاب.

(١) الدر المنثور ٢: ٣٤ - أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: ذكرت هذه الآية عند رسول الله ﷺ فقال نبي الله: لم يجيء تأويلها لا يجيء تأويلها حتى يهبط عيسى ابن مريم عليه السلام.

الدعوة والأمر والنهي قدر المستطاع ثم ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ إلى شروطات الايمان.

ذلك وفي نظرة أخرى إلى الآية نرى ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ تفرض على المؤمنين الحفاظ على أنفسهم فرضاً على الأعيان، فالمقصر الأوّل في كافة الفلتات عن قضية الإيمان هو المكلف نفسه، ومن ثم هؤلاء الذين يُضلِّلونهم عن صراط الإيمان، كما وهم مقصرون إذا تهاونوا عن الدعوة المفروضة عليهم بكلِّ مراحلها.

ثم ﴿لَا يَضُرُّكُم﴾ لها أبعاد ثلاثة أبعدها أنه ﴿لَا يَضُرُّكُم﴾ ضرراً أصيلاً ﴿مَّن ضَلَّ﴾ وأنتم تاركون واجب دعوتهم وأمرهم ونهيهم، ثم البُعدان المذكوران من ذي قبل هما المشتركان في عذر المؤمن في ترك الدعوة، فـ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ مؤمنين وضالين ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من خيِّر وشرير، وإنباءً عن غفلة وغفوة مقصرة، وإنباءً عن طاعة قد لا يُرجى الفلاح بها، ثم إنباءً بحصائل الأعمال حيث تجزون ما كنتم تعملون.

وهنا بعدٌ رابع لـ﴿لَا يَضُرُّكُم﴾ هو إضرار الإضلال، فما دام المؤمن حفيظاً على إيمانه بما عنده من طاقات وإمكانيات فلا يخاف ﴿مَّن ضَلَّ﴾ أن يضله عن سواء السبيل، وهذا من أظهر الأبعاد بين كلّ المحتملات الثلاثة سابقة ولاحقة حيث ﴿لَا يَضُرُّكُم﴾ إخباراً وإنشاءً تنفي ضرّهم أنفسهم بما يختارون ميسِّرين في الضرر لا مسيَّرين، فحين لا تطبقون مسؤولية ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ كما يجب كفاحاً ضدّ عراقيلهم، فهم بإمكانهم أن يضروكم إضلالاً وسواه.

فحين يخاطَب الذين آمنوا بـ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ ليس ليُعنى منهم أن يُؤمنوا كأصل، بل هو استحكام عرى الإيمان لحدٍّ لا ينضَّر المؤمن بما يضره

الكافرون، وهذه - إذاً - نظيرة: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾[1] حيث يعني النهي عن الصدِّ الأمر باستحكام العقيدة والعملية لصالح يوم الحساب لحدٍّ لا يستطيع الكافرون به أن يصدّوك عن الساعة عقيدياً أو عملياً.

وهكذا يؤمر المؤمنون بإحكام عُرى الإيمان في ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أن يصبحوا سداً حصيناً مكيناً أميناً لا تضره - على أشده - أية محاولة كافرة، فإنهم ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[2] حيث تعني ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ تعاملهم في كافة الرحمات، لكي يصبحوا أشداء على الكفار في كافة العرقلات.

إذاً - ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ تعني كأول محتمل وأقواه ضرَّهم أنفسهُم بما يختارون ضدّ المؤمنين، لا الضر الموجه إليهم عقاباً من الله فإنه هو ضره عدلاً وليس ضرّهم عداء!.

ذلك، فأقوى المحتملات هو تحقيق ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ لحدٍّ ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾: ذلك الاهتداء الصارم الذي يصدّ عنكم كلّ اعتداء عارم ممن ضل، حيث الضالون الصامدون في ضلالهم يحاولون على طول الخط أن يضروكم كما يستطيعون[3].

فـ ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ علمياً وعقيدياً وخلقياً وعملياً وسياسياً واقتصادياً وحربياً، وفي كلّ ما تتطلبه شروطات صامد الإيمان فردياً وجماعياً، إعداداً كاملاً شاملاً يضعف أمامه العدو أياً كان، وحينئذ ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾

(١) سورة طه، الآيتان: ١٥، ١٦.
(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٣) وهكذا يعني ما يروى «حب علي حسنة لا يضر معها سيئة» أي أن حبه يدفع عن السيئة.